

الشعب يريد معرفة المصير

هند نوري عبيدين

في هذا الزمن المتنوع والذي يعطي في كل مرحلة جديداً، قد يكون هذا الجديد سلبياً، أو قد يكون إيجابياً، إلا أنه الحراك المطلوب فالكمل من حولنا يتطور ويسرع في حركته فلا نجد شيئاً يستقر في موقعه فالجميع يركضون. الفكر يركض، والسياسة تركض، والأمن يركض، فهل نبقى نحن نراوح في بدايات الطريق؟. هل نبقى نلثم كل فتات الماضي حتى لو كان من الفتات الذي تساقط مما أكله الذين سبقونا؟ وهل من المعقول أن نقف تائهين وسط الطريق؟!..

ومناسبة هذا الحديث ما يعصف بعالمنا العربي من حراك شعبي تواجهه السلطات العربية بأساليب متنوعة تتفاوت ما بين الغباء تارة، والحمق تارة أخرى، وما بين الوحشية والدموية والعناد وبين الحكمة والاستجابة لمطالب الجماهير المشروعة والمحقة. حيث أن أكثر ما يحيرني هو مرض الصمم الذي أصاب بعض رجال السلطة العربية فلم يعيروا ما يجري على الساحات العربية من حركات شعبية احتجاجية تسونامية أي انتباه، وكأنهم غير معنيون بهذا الأمر لا من قريب ولا من بعيد، بل وفي أحسن الحالات يقيمون الصلوات ويبتهلون لرب العباد أن يبعدم عنها دون أن يبذلوا أدنى جهد في تحسين أوضاع شعوبهم المقهورة والمقموعة. وما يحيرني أكثر هو تراتبية الأدوار فيما يجري، فلماذا لم ينتفض الشباب العربي في أكثر من مكان في آن؟ وهل أصبح لزاماً أن تخمد الثورة في بلد لتشتعل في بلد آخر؟ لا أدري، فكل شيء من حولي يصيبني بالدوار والحيرة. ففي عالم مضطرب تجتاحه الفوضى، وتغرقه الدماء وأسلحة الجيوش والأساطيل الغربية، وفي عالم تتقلب فيه المفاهيم والمصطلحات وتختلط فيه الأوراق، وتترجح الحدود - المصطنعة أصلاً - لرسم خرائط جديدة، بات المواطن العربي في حيرة من أمره لا يعرف أين يتجه، فاقداً لبوصلته لا يعرف شماله من جنوبه، فإن هو اختار الاصطفاف إلى جانب قيادته السياسية اتهم من قبل المحتجين بالجبين والنفاق، وإن هو أخذ صف المحتجين وجهت له حكومته تهمة العمالة والمروق، وفي أحسن الأحوال وضعت حول اسمه دائرة حمراء تشير إلى خطورته على أمن الدولة.

من هنا أعتقد بأن كل الشعارات المرفوعة على امتداد احتجاجات الوطن العربي

بحاجة إلى إضافة شعار جديد يقول: "الشعب يريد معرفة المصير" ..

ففي حين لم يعد من المقبول أو من المسموح أن يصار إلى مصادرة الفكر حتى لو كان هذا الفكر يتحرك في خط الانحراف، يجب أن تفتح الآفاق للنقاش والجدل، لأن مصادرة الفكر وإقصائه إنما هو قتل للفكر والمفكر في الوقت ذاته. وفي كل هذا الركض الثقافي وكل هذا الركض السياسي، وكل هذا الركض الاجتماعي، علينا أن نقول للفكر أركض وابتحث عن الحقيقة فلا شيء مطلوب أكثر من الحقيقة. وأرجو أن لا يفهم أنني أتساهل أو أدعو إلى انحراف الفكر ولكني أقول أن الفكر يواجه بالفكر، وقد يكون هذا الفكر مرة مع، ومرة أخرى ضد، ولكن لا يمكن أن يكون الفكر في ظل المتغيرات لا فكر، كما لا يمكن أن يجابه الفكر مهما كان مخالفاً بالعنف والقمع والرصاص والدم. فهلا تركنا الشعب يفكر ويطرح فكره كما يريد؟!.

إنني أتصور أن حركة الشعوب تفرض واقعاً جديداً يبحث في كل شيء ويناقش في كل شيء. فليس ثمة شيئاً غير قابل للنقاش كما ليس هناك شخصاً ممنوعاً من المشاركة والحوار، فالكل معني والكل شريك. عندها تكون لغة الحوار لغة إنسانية تبحث في جميع الجوانب الإيجابية والسلبية لتتوازن الصورة الإنسانية والصورة الواقعية في جميع جوانبها ، مفككة منظومة الأفكار الاختزالية التي تغتال سراً وعلانية أي إبداع من شأنه أن يشاكس الواقع ويتعدى حدود السلطة الحمراء.